غلاف رواية « الحرب في بر مصر »

"الحرب في بر مصر"

رواية تقدمية ضد نظام السادات

« الحرب في بر مصر » للكاتب المصري « يوسف القعيد » . والتي صدرت في بيروت عن دار ابن رشد . تعتبر من الروايات التي استطاعت ان تعكس التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها مصر بعد وفاة جمال عبد الناصر وتنصيب انور السادات حاكما لمصر (★)

تدور احداث الرواية في فترة حرب تشرين ١٩٧٣ . متناولة الوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في ريف مصر من جهة وحقيقة حرب تشرين والنصر المزعوم من جهة ثانية . وقد كانت عقدة الرواية هي ان « العمدة » الاقطاعي الذي اعاد نظام السادات له الارض التي استولى عليها الاصلاح الزراعي ووزعها على الفلاحين منذ عام ١٩٥٤ . هذا « العمدة » يرفض ذهاب ولده الوحيد من زوجته الثالثة . لانه تزوج قبلها من اثنتين انجبتا له جيشا من الاولاد والبنات . ورفضه هذا يكون بموجب رفض امرأته الجديدة - الثالثة - من جهة . وبموجب كون تلك الزوجة وحدها تعرف ان « العمدة » اصبح عقيما فاقدا ذكورته بعد ان اجريت له منذ مدة عملية جراحية من جراء التهابات خطيرة .

يحار « العمدة » في كيفية تهريب ولده من الخدمة العسكرية . فيحيله اصحابه الى « المتعهد » . وهو معلم مدرسة اقيل من وظيفته في عهد عبد الناصر . لانه كان متورطا في جرائم عديدة . فأصبح منذ تسريحه متعهدا للتوريد والوساطات مع الحكومة من خلال ضباط او موظفين كبار . فالفلاح الذي يريد مثلا ان يؤجل خدمة ولده لاسباب دراسية . عاما او عامين . يتكفل « المتعهد » بعمل المطلوب بعد ان يقتلع من دم الفلاح نهبا وتحايلا مبلغا هائلا . يوزع قسما منه على شركائه في الحكومة .

الشخصية الثالثة في الرواية هي شخصية « الخفير » الذي اختير ولده « مصري » الوحيد عن اربع بنات . بديلا يخدم « الجهادية » عوضا عن ابن « العمدة » . هذا الخفير يسرح في عمله الرسمي بتعويض زهيد . فيتلقفه « العمدة » خفيرا خاصا به . ويوعده بأن يتناصف وإياه محاصيل الفدادين الخمسة التي كان يزرعها . واعيدت الان الى « العمدة » . نتيجة هذه المساومة بين « العمدة » و « الخفير » المحتاج . كان « مصري » الذكي . الذي استطاع نيل الاعدادية . ولم يتحمل دراسته لان والده لم يستطع تأمين مصاريف الدراسة في « البندر » . المدينة . بعكس ابن « العمدة » الذي لم يستطع نيل الاعدادية رغم كل التسهيلات التي قدمها له والده « العمدة » . كان « مصري » ضحية هذه المساومة فافتيد الى « الجهادية » عوضا عن ابن « العمدة » !

الشخصية الرابعة في الرواية هي « الصديق » . صديق « مصري » اثناء خدمته في الجيش وخوضه حرب تشرين واستشهاده قبيل وقف اطلاق النار . والذي اطلع على حقيقة « مصري » وكونه يخدم عوضا عن ابن « العمدة » الشخصية الخامسة في الرواية هي « الضابط » الذي رافق نائبوت « مصري » من المدينة الى قريته . وشهد كيف ان العمدة كان يريد ان يدفنه فورا . في حين علم اهل القرية ان مصري خدم واستشهد باعتباره ابن العمدة . الذي كان يفتح ويعيش حياة مرفهة في القرية . وشهد هذا الضابط كيف حاول زلم العمدة . الاستيلاء على جثة الشهيد « مصري » ودفنه دون احترام لوالده الخفير واهل القرية . الضابط هذا كان من المدينة وصديق « مصري » كان ايضا من المدينة .

الشخصية السادسة والاخيرة في الرواية هي شخصية « المحقق » وهو الضابط الذي يحكي كيف تواطأت السلطات المصرية مع « العمدة » وطالبته باقفال التحقيق . لان « مصري » خدم متطوعا بديلا لابن « العمدة » . واستشهد برغبته . والوطن الان لا يزال يعيش حالة حرب . ولذلك يجب ان لا تثار هذه المسألة كي لا يشك المواطنون بقواتهم المسلحة وحكومتهم ! .

في المضمون

تتحدث الرواية اذن عن الوضع الاجتماعي الذي عكسته التحولات الاقتصادية على القرية من خلال نسف كل منجزات الاصلاح الزراعي واعادة الاراضي التي كان يزرعها ويمتلكها الفلاحون الى الاقطاعيين . مما حلق انقساما في صفوف الفلاحين بين مساوم خضع لمشيئة الاقطاعيين واصبح من ارلامهم لضرورات العيش وخبز الكفاف . وبين ناقم رافض وعاجز عن مواجهة الاقطاعيين . الوعي هو الذي كان ناقصا . والتنظيم لمواجهة « العمدة » والدولة « الساداتية » من ورائه هو الذي كان ناقصا ايضا .

من ناحية ثانية تطرح الرواية ان حرب تشرين وبعض الانتصارات التي حققها الجيش المصري . حصدت نتائجها الطبقات المعادية للجماهير المصرية من اقطاعيين وكومبرادوريين .

و « مصري » الضحية كان يمثل كل شهداء الجيش المصري الذين كادوا حسرا عبره السادات الى الخيانة وبيع الارض والقضية . وعبره الاقطاعيون والكومبرادوريون الى العودة لاضطهاد الفلاحين وربط اقتصاد مصر بعجلة الامبريالية .

القوة الطبقية الوحيدة التي تراهن عليها الرواية . لانقاذ مصر من براثن الظلام هي البرجوازية الصغيرة . وكأن الرواية تقول ان تاريخ مصر محصور بين الحلقات التالية . اقطاع - برجوازية صغيرة - اقطاع + كومبرادور - برجوازية صغيرة .. الخ .

هذه نقطة ضعف في الرواية لانها لم تراهن على الطبقة الثورية الحقيقية - العمال والفلاحين الفقراء - .

في الشكل

اعتمد الكاتب في روايته تكنيكا جديدا فالشخصيات الست التي ذكرناها هي عناوين الفصول الست التي قسمت الرواية اليها .

وكل فصل يتحدث باسم صاحبه . فالفصل الذي عنوانه « العمدة » يكتبه العمدة . « والمتعهد » يكتب فصل « المتعهد » وهكذا . فالكاتب افترض ان الاشخاص الست يكتبون الرواية بكامل فصولها . دون اشعار القارىء بأي تدخل من قبل الكاتب . غير فرض الحدث في العمل الروائي . ولكن الى اي حد نجح الكاتب من حيث الاسلوب بتقمص الشخصيات الست . لقد كان الكاتب ناجحا في تصوير شخصية العمدة والمتعهد والخفير الى حد ما ولكن التكلف والافتعال كان يبرز في الفصول الباقية . لقد كان لاصول الكاتب الريفيه اثر بالغ على ما يبدو في تصوير الامكنة التي تدور فيها احداث الرواية . كما كان لخدمة الكاتب في الجيش المصري اثر بالغ ايضا في تصوير الامكنة العسكرية في سيناء . حيث تتحرك شخصيتا الصديق و « مصري » .

لقد كان الكاتب فاشلا في تصوير كل ما له علاقة بالمدينة . مما يثير اعتقادا بان معرفة الكاتب لحقيقة المدينة وابناء المدن لم تتجاوز ما تطرحه الافلام السينمائية .

يبقى اخيرا الاشارة الى الاسلوب الصحفي . والمرتبك احيانا ووضع النقاط والفواصل في غير امكنتها وهذا الخطأ يتضح لدى القارىء بسرعة لكثرته في نص الرواية .

استنتاج

اعتمادا على ما سبق ايراده . يمكننا الخلوص الى ان الرواية نجحت في طرح مضمون تقدمي في شكل جماهيري . دون السقوط في التقريرية والمباشرة غير الفنية .

لقد عانت الرواية من بعض السقطات التقنية، ولكن هذه السقطات لا تنقص من حجم الرواية وقيمتها باعتبارها من الاعمال الفنية الروائية الجيدة التي جابهت بجرأة سياسة السادات المعادية للجماهير العربية المصريه في الريف والمدن .. وكل مكان .

وقد طرحت هذه الرواية اسم « يوسف القعيد » باعتباره من اهم كتاب الرواية الحديثة في مصر العربية .

■■هـ . د .

★) « الحرب في بر مصر » . تأليف « يوسف القعيد » . اصدار دار ابن رشد - بيروت دار ١٩٧٨ . ١٦٠ صفحة من القطع المتوسط . ثمن النسخة ست ليرات لبنانية . صمم غلافها الفنان المصري حلمي التوني » .

قصة للاطفال

" لسنا غرباء "

بقلم : أبو نضال

عاد « نضال » ذات يوم من المدرسة وعلامات الحزن تظهر على محياه ، دخل الى بيته الصغير وجلس في زاوية البيت يبكي بألم ومرارة . وفجأة دخلت امه فوضع « نضال » رأسه بين رجليه ومسح الدموع المنهمرة من عينيه كي لا تشعر امه ببكائه .

الا ان امه شعرت بأن شيئا غريبا حدث لطفلها ، فسألته :

« ماذا جرى لك يا حبيبي الصغير »؟

فأجابها نضال : لا شيء يا امي .

لكنه عندما رفع رأسه رأت امه ان الدموع ما زالت تنهمر من عينيه . ضمته الى صدرها الحنون ، وقالت : « قل يا حبيبي ماذا جرى لك ، هل انت مريض ، هل انت جوعان ؟ » .

اما « نضال » فبقي صامتا لا يستطيع الكلام ، وازدادت الدموع انهمارا ، وانفجر بالبكاء .

ضمته امه الى صدرها مرة اخرى عله يهدأ ، ويقص عليها كل ما حدث له في المدرسة . وبعد دقائق هدأ « نضال » وبدأ يقص على امه كل ما حدث له مع ابن صفه « سمير » .

قال « نضال » :

« تشاجرت هذا الصباح مع «سمير» وفي طريقنا من المدرسة قال « سمير » لامه التي كانت تقف امام البيت انني ضربته ، فمسكتني امه من اذني ، وقالت : « بعد علينا هذا اللاجىء » ، يعني غريب وجاي تقتل اولادنا ، روح قاتل الناس الذين طردوا أباك وامك ، انت غريب ومش لازم ترفع راسك ».

بعد ان انهى « نضال » كلامه بدأ يبكي مرة اخرى ، فأجلسته امه في حضنها وبدأت تمسح دموعه المنهمرة. وبعد ان هدأ « نضال » قالت له امه :

« لا تبكي يا حبيبي ، تعال معي لنذهب الى مشوار قصير » .

وصل « نضال » وامه الى قرب يهودية وجلسا امام بيت قديم مهجور نبتت حوله الاعشاب البرية ، وعلى مقربة منه اشجار التين والزيتون والصبير .

قالت امه :

« هذا البيت بيتنا يا « نضال » ، قبل ثلاثين سنة جاء غرباء ، واحتلوا البيت وجميع بيوت القرية . هذه البيوت بيوت قريتنا « البروة » وهذه الارض لنا ، وهذه البلاد بلادنا ، صحيح انهم شردونا من القرية والوطن ، الوطن يعني الارض ، الشجر ، العشب ، وعكا ، وحيفا ، ويافا . شردونا الغرباء بس يا حبيبي لسنا غرباء ما دمنا في وطننا وعلى ترابنا .

اخوتك خرجوا من الوطن ، وسوف يعودون قريبا ، ونعود جميعا الى القرية ، انت يا « نضال » لازم ترفع راسك ، هذه البلاد بلادك ، وهذا الوطن وطنك ... سوف يعود اخوتك قريبا وتعود الى بيتنا هذا لنبنيه من جديد ، ونعيش بهدوء وراحة » .

ابتسم « نضال » وقبل امه ، وعادا الى البيت .

وعندما وصل « نضال » الى البيت اسرع الى حقيبته ليراجع دروسه ويحل وظائفه .

وبعد ان انتهى من القراءة جلس في فراشه ، وكلمات امه محفورة في رأسه .

« انا لازم ارفع رأسي ، انا لست غريبا هنا ، هذه البلاد بلادنا .

اخوتي سوف يعودون قريبا ، ونعود جميعا الى قريتنا ، ونبني بيتنا من جديد ونعيش بهدوء وراحة » .

□ فلسطين المحتلة